الصـواب ، وإنما نحن في أمور تدرك بالفكر اللطيفة ، ودقـائق يوصل إليـها بثاقب الفهم .» [١]

لقد وجد عبد القاهر الإمكانات النحوية قائمة في تركيب الجملة وبنيتها الداخلية ، فقـاده ذلك إلى فكرة النظم ، وهي فكرة قوية الصلة بالإمكانات النحـوية ، من حيث كانـت هذه الإمكانات ذات فعـالية خطيرة فـي أنساق اللغة وأسـاليبها ، حـتى يمكن القول إنها العنصـر الأساسي في تشكيل الأداء شعراً ونثراً ، كما أنها المدخل الحقيقي لإدراك الإعجاز القرآني .

وهذه الإمكانات ليـست وقفًا على تغيُّر أواخـر الكلمات – كـما قلنا – وإنما على السبب الموجِب لـذلك ، وبهذا يتاح إدراك الخـواص الأسلوبية في التركيب ، كما يتاح إدراك الدلالة التي أفرزها .

لقد أدرك الجرجاني أنه من خلال النحو يمكنه أن يدرك نظام اللغة ، وهو نظام يختلف في صيـاغـته من جنس إلى آخـر ، فالشعر – مـثلا – له نظامـه النحوي الذي تكاد تكون إمكاناته نسقًا مـغلقًا على ذاته ، بحيث لا يتداخل مع غيره من أنساق القول ، فعندما يقول البحتري :

إذا بَعدَتْ أبْلَتْ وَإنْ قَرِبَتْ شفتْ فَهجْرانُها يُبْلي وَلَقْيانُها يَشْفي

نجد أن المعنى : « إذا بعدت عني أبلتني ، وإن قربت مني شفتني ، إلا أنك تجد الشعر يأبى ذلك ويوجب اطراحه .» [٢] ؛ ذلك أن البحتري أراد أن يعطي البِلَى خصـيصـة مميزة بحيث يـجعله كالطبـيعـة التي تلازم البعـاد ، وكذلك الأمر بالنسبة للشفاء مع القـرب ، حتى كأنه قـال : أ تدري ما بعـادها ؟ هو

(١) الجرجاني : دلائل الإعجاز ، ص ١٣٠ . (٢) المرجع السابق ، ص ١٨٣ .